المرجعية القرآنية في تعاملات الأمير عبد القادر
بن نعمية عبد الغفار ، المجلد الثاني عشر، العدد 2، ماي 2021،
ص ص 130-136

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

# المرجعية القرآنية في تعاملات الأمير عبد القادر

Quranic reference in the dealing of prince Abdel Kader

عبد الغفار بنعمية (*)

جامعة وهران 1، الجزائر

abdelghaffarbennamia@gmail.com

تاريخ الإيداع: 05/ 2021/01 تاريخ القبول: 2021/03/11 تاريخ النشر: 2021/05/30

**الملخص:**

يتناول الموضوع إشارات وافية حول المرجعية القرآنية التي اعتمدها الأمير عبد القادر في تعاملاته المختلفة، وذلك من خلال استشهاداته بالقرآن الكريم، وتوظيفه للآيات القرآنية في بعض المحطات التاريخية والمواقف التي عايشها طيلة حياته المزدحمة بالأحداث، خاصة وأن الأمير عُرف بتعدد اهتماماته اليومية، بين الجهاد في سبيل الله ورفع راية الاستقلال والحرية، والتعليم، والتذكير، والوعظ والإرشاد، والوجاهة والمفاوضات واللقاءات اليومية المختلفة. من خلال هذه الصفحات نسلط الضوء على الخلفية القرآنية التي اعتمدها الأمير ووظفها في حياته الخاصة والعامة.

**الكلمات الدالة:**

الأمير عبد القادر ؛ الأمير ؛ القرآن؛ التعامل؛ الإسلام.

**Abstract:**

The topic deals with ample reference to the quranic reference that prince AbdulQadir adopted in his various dealings through his citations of the Holy Quran and his employment of quranic verses in some historical stations and situations that he lived throughout his life full of events, especially since the Emir was known for the multiplicity of his daily interests, between jihad for the sake of god raised the banner of independence and freedom, education, remembrance, preaching and guidance, prestige, negotiations and various daily meeting, Through these pages, we highlight the quranic background thqt the Emir adopted and public life.

**Key Words:**

Abdelkader, Prince, The Quran , Dealigs, Islam.

**********

(*) المؤلف المرسل: بنعمية عبد الغفار abdelghaffarbennamia@gmail.com



المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

**سيرة الأمير ونشأته:**

ولد الأمير عبد القادر بقرية القيطنة بمدينة غريس الواقعة غرب معسكر عام (1222 هـ -1807 م) حفظ القران الكريم وشرع في تعلم العلوم الشرعية في الزوايا والمساجد على أيدي شيوخ معسكر. ثم أرسله والده إلى مدينة وهران عام (1821) فتعلم الفلسفة والشعر والعلوم الرياضية والجغرافية والطب مواصلا بذلك مشواره العلمي والمعرفي، كان رفيق والده إلى الحجاز لتأدية مناسك الحج ثم إلى دمشق وبها لزم دروس العلماء وحلقاتهم في العلم والذكر، ثم اتجه إلى القاهرة، ورغم قصر مدة إقامته به إلا أنه أتصل بشيوخها وعلمائها، ثم انتقل إلى البقاع المقدسة ليتم تأدية حجته الثانية سنة (1827م)، وكان هذا المشوار كافيا في تكوين شخصية رجل مضطلع على أوضاع البلدان العربية كان لها أثرها في مسيرته العلمية والفكرية والجهادية.

**مسارات الأمير وحياته:**

سبقت الإشارة أن محي الدين والد الأمير عمل على تلقين ابنه وتعليمه، ولأن الأمير عبد القادر لم يكن شخصا عاديا في نمط أداءاته الجهادية، فواضح جدا أن الطريقة القادرية التي مثلتها الزاوية آنذاك كانت محكا كافيا في صقل شخصية الأمير، ساهمت بشكل كبير في تكوين شخص غير عادي مقارنة بالظروف التي عاشتها الجزائر ساعتئذ، ويكون مناسبا القول أن قيادة الجيش بأمر والده محي الدين دلت على انتقال التربية الصوفية أيضا، هذا التأهيل القيادي والصوفي سيظهر بجلاء في وقفات الأمير المُستقبلية، هذه الوقفات التي نشأت بخلفية الزاوية التي أسّسها الشيخ مصطفى جد الأمير. ولأن مهام الزاوية لم يقتصر على التعليم الديني فحسب، فقد أصبحت مسائل صد العدو ورد اعتداءاته دروسا تربوية تُلقى على المريدين والأتباع، والحق أنها مسائل من صميم الدين باعتبار الجهاد فريضة على المسلمين، خاصة وأن البيئة الجزائرية آنذاك كانت سامحة للحديث عنه، ومبرراته متوفرة بقوة.

إن المتتبع لشخصية الأمير سيكون حتما أمام ظاهرة فكرية نمطية، تسمو إلى مصاف الشخصيات التجديدية، فالأمير في نظراته للجهاد يكون قد قدَم تصورا لقضايا الجهاد، ومع صعوبة مسائله فإن الأمير عبد القادر من خلال ثورته ضد المستعمر يكون قد فتح بابا في مسائل السياسة الشرعية، وقد جمع التسولي مسائل الأمير في الجهاد وسماها: "**أجوبة**


المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

**التسولي عن مسائل الأمير عيد القادر في الجهاد**"، تضمن أحكاما جهادية فقهية عالية[1]، شملت جميع أنواع الجهاد النابعة من الوقائع التي حدثت في عصر الأمير. ولأن هذه الأسئلة كانت موجهة إلى المولى عبد الرحمان ين هشام، فقد دفعت بمحقق الكتاب إلى اعتبار نظرات الأمير في الجهاد مظهرا مبكرا من مظاهر يقظة المغرب الحديث وواقعه السياسي والاجتماعي ووحدته المنشودة"[2]

الحديث إذا عن ثورة الأمير عبد القادر ضد المستعمر تحت غطاء الطريقة القادرية هو حديث عن فقه الجهاد، لا عن حمل السلاح فحسب، وحديث عن محطات لم تتكرر في ثورات الجزائريين ضد الاستعمار، ربما تكون هذه الأمارات قد ظهرت في شخص الأمير خلال جولاته القتالية مع والده محي الدين بوهران، كخنق النطاح الأولى والثانية يوم كان حاملا للراية، وانتهج في ذلك خطة عسكرية كانت ناجحة مقارنة بسن الأمير آنذاك، إذ عمد إلى تقسيم الجيش إلى "خمس فرق: اثنتين منها للقتال، واثنتين للدفاع، والخامسة كامنة وراء العدو"[3]

**التعامل القرآني في مواقف الأمير عبد القادر:**

إن الناظر بدقة في تعاملات الأمير عبد القادر سيكتشف عمق الرابط بين التصوف والقرآن الكريم، وقد احتفظت المصنفات بالتدليل على أن الصوفي يظهر له من القرآن الكريم تجليات خاصة قد لا تظهر لغيره. لقد دأب الأمير على التعامل مع القرآن الكريم بنظره الخاص والعميق، وأيضا توظيفه في مواقف الحياة العامة والخاصة، وقد يكون مناسبا أن نعرف بداية الأمر هنا من حديث إبنه محمد الذي يقول:" **وما تمّ له الارتقاء إلا في غار حراء، ووقه له الفتح الرباني، وانفتح له باب الواردات، واستظهر من القرآن آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة**"[4]. ونُقل عن الأمير في كتاب المواقف قوله: "بأنه يدرك عن الحق بفهمه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالتفهم الرباني"، مما جعل الحق عند الأمير لا يُعرف إلا عن طريق القرآن الكريم.


المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وربما يكون مناسبا اختصار التجليات القرآنية في حياة الأمير من خلال حديثه في أول موقف من كتاب المواقف في ثنايا شرحه لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[5] **قال:**" هذه الآية تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا، فإن الله تعالى قد عوّدني أنّه مهما أراد أن يأمرني، أو ينهاني، أو يبشرني، أو يحذرني، أو يعلمني علما، أو يفتيني في أمر استفتيته فيه، إلا ويأخذني مني مع بقاء الرسم، ثم يلقي إليّ ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن، **ثم يردّني إلي فأرجع بالآية قرير العين، ملآن اليدين، ثم يلهمني ما أراد بالآية..."**[6] وفي ما يلي يمكن تحديد مسائل نماذجية في تعاملات الأمير القرآنية:

**الوفاء بالعهد:**

من بين المسائل التي تناولها الأمير مستدلا لها بالقرآن الكريم هو الوفاء بالعهد، ونقل في كتابه المقراض الحاد[7] قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾[8]، فقد التزم الأمير بتوضيح معنى الآية قائلا:" الأمر بالوفاء وهو القيام بمقتضى العهد والعقود هي العهود الموثقة، أمر الله عباده المؤمنين بالوفاء فيما يعقدون"[9]

**العدل مع المخالف:**

وهي مسألة مهمة تناولها الأمير كونها واقع في حياته ووضعه في محاربة الكفار والجهاد في سبيل الله، فجاء بقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[10]، وفي شرحها جاء بقول الإمام البيضاوي: " لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم. اعْدِلُوا


المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى أي العدل أقرب للتقوى، صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى"[11]

**احترام الأسرى:**

لا أحد يغفل التعامل الإسلامي لدى الأمير مع غير المسلمين وخصوصا الأسرى فقد حفظت المصنفات العديد من المواقف التي تعكس احترام الأمير للأسير وفي مراسلات عديدة ثابتة كان الأمير يؤكد على حقوق الأسير وحقوقه الإنسانية، وهذا كله من صميم أخلاقيات القرآن ودين الإسلام.

**مواقف إسلامية عامة:**

تذكر المصادر والمؤلفات حول الأمير الحادثة الشهيرة التي تكشف جانبا عميقا من توظيف تعاليم القرآن في حياة الأمير، وذلك في واقعة سنة 1860 الطائفية التي لاقى فيها آلاف المسيحين ويلات عظام، وكان تدخل الأمير حاميا للقناصل الذين أدخلهم بيته دون تدخل أحد لشرف نسبه، ويُعيدنا هذا إلى ما كان يتعامل به النبي صلى الله عليه وسلم في تقديم الأمان للمستجير وطالب النُصرة حتى وإن كان كافرا. قد يكون مُفيدا الحديث عن بعض الشهادات من مواقف أجنبية أظهرت الأمير عبد القادر في الصورة المناسبة له، فقد ذكر المؤرخ الفرنسي أوغستان قوله: " وقد أظهر الأمير بعد أن أُسند له منصب الأمير، على الرغم من أنه ابن الزوايا والطرق، حنكة سياسية وبراعة عسكرية فائقة، وطان يتمتع بصفات تدل على أنّه خُلق ليحكم فكان بسيطا في لباسه، ومتواضعا في معاشرته، أنيقا جميلا شجاعا فارسا وبالتالي كان له هدوء الدبلوماسي المسلم"[12]

ومن المواقف التي تدل على مكانة الأمير في سوريا عموما، وليس فقط على المستوى الصوفي، هو الأحداث والمجاز ر ذات النزعة الطائفية التي حدثت في سنة 1860 وراح ضحيتها آلاف المسيحيين، حيث تدخل أولا لحماية القناصل الأجانب وأدخلهم إلى بيته، قبل أن يتدخل بالجيش. ولا أحد تجرأ على لمس حرمة داره لأنّه أحد الشرفاء من حيث النسب.ومن ابرز ما يمكن الاستدلال به على الأخلاق القرآنية عند الأمير مقولته الشهيرة:" حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له ولكن تبينت غلطتي وعلى أي حال فإن مثل هذه


المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الكنائس ستقنعني بخطئي"[13] ويبدو هذا الموقف جليا واضحا في إيمان الأمير بالأديان السماوية ونبذ الإقصاء والاعتراف بالخطأ وهذا من صميم الإسلام وتعاليم القرآن. بل إنّ الأمير كان يُعامل المسيحيين على هذا الأساس.

إنّ إيمان الأمة الإسلامية بعدالة الصحابة عليهم الرضوان وتمسكهم الشديد بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تطبيق تعاليم القرآن بأوامره ونواهيه، تجعلنا نفهم من خلال الكتابات حول شخصية الأمير مدى حرصه على متابعة أصول الإسلام وجزئياته، يقول أبو القاسم سعد الله:" آثار الأمير المكتوبة وسلوكه السياسي والثقافي والقضائي يبين تأثره بالخلفاء الراشدين وكبار القادة المسلمين سواء أثناء المقاومة أو بعدها"[14]

ومما يمكن أن نخلص إليه أن الأمير في مختلف تعاملاته كان يعتمد على القرآن الكريم أولا، ومُستندا إلى السنة النبوية الشريفة وخلافهما من المصادر، في صورة تعكس حرصه الشديد على تعريف الآخر بأخلاق الدين والإسلام والالتزام به وتطبيقه في الحياة العامة والخاصة، والأكثر من ذلك هو التزام القائد الإسلامي بتعاليم الإسلام والقرآن. لم تكن شخصية الأمير إذا شخصية عبثية، ودليل ذلك هو اهتمام الأعداء بدراسة شخصه واحترامهم له وشهاداتهم حوله، كل هذا ترك انطباعا لدى مختلف الطبقات المجتمعية من داخل الوطن وخارجه أنّ الأمير عبد القادر كان يظهر بمظهر الرجل المسلم أولا، ثم القائد والسياسي والحكيم والمثقف وهذا كلّه من صميم السياسة الشرعية

**الهوامش:**

1. التسولي علي بن عبد السلام، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تحقيق، عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلاميين ط1، 1996م، ص1.
2. . التسولي، المصدر السابق، ص 1
3. . يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر، رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، عالم المغرفة، الجزائر، ص 45
4. . محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق، ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1964ص 295
5. . سورة الأحزاب الآية 21


المنارة للاستشارات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

6. . الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004 ، ج1، ص 43
7. . من أهم مؤلفات الأمير في الرد على الاتهامات الموجهة للإسلام وعنوانه الكامل: المقراض الحاد لقطع لسان منتقص الإسلام بالباطل والإلحاد"
8. سورة المائدة الآية 01
9. . الأمير عبد القادر: المقراض الحاد لقطع لسان منتقص الإسلام بالباطل والإلحاد، الطاسيلي للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1989، ص 7
10. . سورة المائدة الآية 08
11. . البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418، ج2، ص 117
12. . إحسان حقي، الجزائر العربية، أرض الكفاح المجيدة، د ط، بيروت، المكتب التجاري، 1961، ص 75
13. . شارل هنري تشرشل حياة الأمير عبد القادر ترجمة وتعليق وتقديم أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 23
14. . هذه المقولة منقولة من مقال تم نشره على موقع المكتبة الشاملة الجزائرية، المشرف العام الشيخ عمار رقية الشرفي، https://shamela-dz.net/?p=438، تمت زيارة الموقع يوم 31 ديسمبر 2020 على الساعة 13:00



المنارة للاستشارات